

ندى الكلمات

جيهان كامل



ليست الكلمات ما أنقذني من الإكتئاب... بل الكتابة عن ما بداخلي حين لم أجد من يسمعي
أكتب... كي لا أنسى... أكتب... كي لا أنتهي.“
ربما ستري نفسك بين هذه الصفحات.
وربما ستتذكر: أحياناً... نكتب كي نحيا

جيهان

إهداء

الي اولادي
إلى الكلمات التي زرعناها معاً في العمر...
كي تبقى حكاياتنا حية في قلوبنا

إلى كل قلبٍ لا يزال يحكي... رغم كل شيء

إلى الذين يعرفون أن الكلمات ليست حروفاً... بل قلوبٍ تمشي بيننا.
إلى كل من يحمل سطرًا صغيراً في قلبه... كما نحمل الأحيّة

صيف في المدينة

كانت ولادة ندى في مدينة لا تنام، في القاهرة، في ستينات القرن الماضي.

القاهرة تحبّئ تحت جلدها أصواتاً لا تهدأ: باعة يصرخون تحت الشرفات، حافلات مزدحمة تصدر شهقاتها المعدنية، وأغنيات أم كلثوم و عبد الحليم تبثها المقاهي كل مساء.

في مستشفى الهلال الأحمر بحي السيدة زينب، كانت أمها، سعاد، تمد يداً متعبة تمسك بمعصم زوجها، حسين، الذي يقرأ بصوت خافت من كتاب صغير لتهدئتها

حسين..."

"أنا هنا."

"لو بنت، نسميها ندى؟"

ابتسم.

"ندى... مثل رائحة الصباح بعد مطر الليل، جميل.."

في لحظة بين الألم والخوف، ولدت ندى. لم تصرخ كالأطفال الآخرين. فتحت عينيها، ونظرت حولها في دهشة صامتة

قالت القابلة:

"بنت... سبحان الله! بتبص علي الدنيا كأنها بتحفظها!.."

كان بيت ندى في شقة صغيرة بالطابق الثالث من بناية قديمة في شارع قصر العيني، مطلة على أشجار كافور متعبة تقاقل لتتنفس في زحام المدينة

كان حسين يعمل مدرساً لمادة التاريخ في مدرسة ثانوية. رجل نحيف بوجه هادئ وصوت رخم، يحمل في جيبه دائماً كتاباً أو قصاصة ورق يكتب عليها أفكاره

أما سعاد فكانت معلمة لغة عربية في مدرسة ابتدائية. امرأة قوية ذات شخصية أسرة، تعشق الشعر وتؤمن أن البنات يجب أن يتعلمن كيف يفكرن لا فقط كيف يطبخن.

ندى كانت الطفلة الثالثة

- أمل، الكبرى (١٠ سنوات حينها)، كانت مسؤولة وجدية كأم صغيرة
- سامي، الأخ الأوسط (٧ سنوات)، مشاغب، لا يهدأ إلا وهو يركض أو يصنع مقالب
- ثم جاءت ندى

منذ صغرها، كانت مختلفة.

لم تكن تبكي كثيراً. كانت تراقب. فتتح عينيها كأنها تريد أن تلتهم العالم بنظراتها

حين بلغت الرابعة، اكتشف أهلها أنها تحفظ القصص التي ترويها لها أمها كلمة كلمة. كانت تجلس على الأرض، تمسك بدمية متهترئة وتعيد رواية القصة لأمل أو سامي بإيماءات درامية

ذات مساء، وبينما كان الأب يقرأ عن تاريخ الأندلس، وقفت ندى أمامه وقالت بلهجة مترددة:

"أبأ... ليه الأندلس راحت؟ مكانش ممكن يحافظوا عليها؟"

نظر الأب بدهشة، ثم قهقه قائلاً لسعاد:

"!!"البنت دي هتجنني! بتحلل التاريخ وهي عندها ٤ سنين

في البيت، كان هناك نظام معن وغير معن

أمل كانت مساعدة الأم، تنظم الكتب، تحضر السفرة و غيرها من المهام الخفيفة في البيت. سامي كان متمرد النظام، يدخل ويخرج، يعلق على كل شيء

ندى كانت الظل الخفيف الذي يسمع كل شيء ويخزنه. كانت تضع نفسها بين الجميع، تنتقل بين دفة أمها، هدوء أبيها، شقاوة سامي، جدية أمل

في الخامسة، بدأت ندى تكتب كلماتها الأولى، ليس في دفتر مخصص بل على جدران المطبخ. اكتشفتها الأم ذات صباح:

"ندى!!! ليه كاتبة أنا أحب ماما على الحيطه؟!"

هرّت الصغيرة رأسها وقالت ببراءة:

". عشان الكل يشوف... الكراسه ما حدش يبشوفها

كان للأب عادة أن يقرأ كل مساء لأطفاله. كان يفرش سجادة في غرفة المعيشة، يضع المصباح قربه، ويبدأ: كان يا مكان

في كل مرة، كانت ندى تزحف أقرب فأقرب حتى تكاد تلامس الصفحات، وعيناها تتسعان

مرة قال حسين لسعاد بعد أن نام الأطفال:

". ندى دي... عندها عين قلب... مش بس عين عقل

لكن لم تكن كل اللحظات هادئة

كانت ندى طفلة شديدة الإحساس. إذا بكّت أمل، بكّت معها. إذا وقع سامي وكُشِطت ركبته، هرعت بقطعة قماش لتجفف دمه.

في المقابل، كانت عنيدة بشكل لا يُحتمل أحياناً.

في السادسة من عمرها، رفضت تناول طعام الغداء لأنه لم يكن "مرتباً" كما تحب.

قالت الأم غاضبة:

"ندى! مش كل حاجة هتمشي على مزاجك!"

نظرت إليها الطفلة الصغيرة بثبات وقالت:

"طب مش كل حاجة هتمشي على مزاجك انتي كمان!"

صُدمت الأم... ثم انفجرت ضاحكة

هكذا عاشت ندى في طفولتها المبكرة

- فتاة هادئة تراقب أكثر مما تتكلم
- عميقة الإحساس، كثيرة التساؤل
- عاشقة للكلمات والقصص
- عنيدة حين تشعر بالظلم أو الفوضى
- مرنة حين تشعر بالحب والقبول

كانت المدينة تكبر حولها، وأحاديث أبيها عن التاريخ، وقصائد أمها، ولعب أخيها، ودفاتر أختها... كل ذلك كان يبني في داخلها مكتبة سرية لم تعرف قيمتها بعد.

وفي المساء، حين ينام الجميع، كانت ندى تنظر من نافذة البلكوينة إلى الأضواء المتناثرة وتهمس:

". أنا كمان... في يوم من الأيام.. هحكى قصتي"

بيت الكلمات

كان البيت الذي تسكنه عائلة حسين عبد الحميد في قلب القاهرة، بين شارع قصر العيني وشارع محمد محمود. شقة متوسطة الحال، جدرانها تحمل آثار الزمن، لكن رائحتها دائماً خليط بين القهوة، الورق القديم، والصابون.

في الصباح، كان الضوء يتسلل إلى غرفة الجلوس من خلال ستائر بيضاء خفيفة. وعلى الطاولة الكبيرة، تناثرت كتب التاريخ، دواوين الشعر، وصحف اليوم.

ندى — في عامها السابع — كانت تستيقظ قبل الجميع أحياناً، تزحف إلى الصالون على أطراف أصابعها، تتسلل تحت الطاولة، وتفتح كتاباً كما رأت أمها تفعل.

كانت تمرر أصابعها الصغيرة فوق الكلمات، وكأنها تُنصت لما تخفيه السطور.

في ذلك الصباح، دخلت سعاد فوجدتها هناك، نصف وجهها مخفف تحت الطاولة.

ابتسمت الأم وقالت:

"بتعملي إيه يا ندى؟"

رفعت الصغيرة رأسها وعيناها تلمعان:

"كنت بسمع الكتاب بيقول إيه."

ضحكت سعاد، جلست بجانبها، وضمتها إلى صدرها:

"الكتب مش بس بتقول... الكتب بتغني لو سمعتها بقلبك."

في المساء، كان للبيت طقس لا يخلفه حسين أبداً.

بعد العشاء، يجلس على كرسية الخشبي القديم، نظارته على طرف أنفه، يفتح كتاباً أو جريدة، ويقرأ بصوت هادئ:

"في سالف العصر والأوان..."

كان الصوت يرتد في زوايا البيت كأن الجدران تحفظه.

كانت ندى تجلس أمامه، تتربع على الأرض، عيناها كأنهما مرأتان تعكسان الصور التي تصنعها كلماته.

في بعض الأحيان، تسأله فجأة:

"بابا... ليه في حكايات بتخلص زعل؟"

فبيبتسم الأب، يمرر يده على رأسها:

"عشان نفهم إن الحياة فيها كل الألوان... مش بس الفرح."

أمل كانت تستمع وهي تحيك قطعة صوف، لكنها كانت ترى أن ندى "تحلم زيادة عن اللزوم".

سامي، كالعادة، يمل بسرعة ويبدأ في قذف كرات ورقية على ندى محاولاً مضايقتها.

"سامي! خليك مؤدب!" تصرخ أمل.

"هي اللي قاعدة زي التمثال!" يرد ضاحكاً.

لكن ندى لم تكن تهتم. كانت في عالمها.

في يوم من أيام الشتاء، اصطحب حسين ابنته الصغرى إلى مكتبة قريبة من بيتهم — "مكتبة دار المعارف".

كانت ندى تمسك بيد أبيها بقوة، تخطو في الشارع بحذر لكن بعينين مليئتين بالدهشة.

عندما دخلت المكتبة، فتحت فيها بانبيهار. صفوف من الكتب تمتد كأنها غابة ورقية.

اقتربت من رف الأطفال، بدأت تسحب الكتب واحداً تلو الآخر.

نظر إليها الأب، قال للمكتبي مبتسماً:

"دي بتفكر الكتب دي صديقاتها الجداد."

رد المكتبي:

"وأحلى صحبة، والله!"

خرجت ندى يومها تحمل أول كتاب تملكه وحدها — نسخة مصورة من "كليلة ودمنة".

في الطريق قالت:

"بابا... لما أخلص الكتاب ده، ينفع أجيب واحد تاني؟"
ضحك:
"تقدري تجيبي عشرين لو عايزة."

في البيت، كان لكل واحد مكانه في ديناميكية العائلة.

أمل — الأخت الكبرى — مسؤولة، لا تحب الفوضى. كانت ترى ندى طفلة حاملة زيادة.
تقول لها أحياناً بحدّة:
"يا ندى، فوقتي شوية... مش كل حاجة قصة!"
فترد ندى بعناد طفولي:
"كل حاجة في الدنيا قصة... حتى إنتي!"

سامي كان مغامرًا، لكنه كان يحمل لندی حبًا خاصًا. في بعض الأيام، يأخذها سرًا إلى بائع الحلوى عند أول الشارع.
"ما تقوليش لماما!"
فتومئ ندى برأسها:
"سرّك في بير."
لكنه يعرف أنها قد تكتب القصة في كراستها فيما بعد.

لكن لندی وجهًا آخر... عناد لا يُكسر حين تشعر أن شيئًا "ليس صحيحًا".

في مساء أحد الأيام، وضعت الأم أمامهم جميعًا طبق عدس.
رفضت ندى أن تأكل.
"ليه؟" سألت سعاد.
"مش عاجبني ريحته."
"ندى! لازم تاكلي، مش معقول."
رفعت الصغيرة رأسها بصلاية، وضمت ذراعيها:
"أنا مش جعانة. لما أبقى جعانة أكل اللي أحبه."

اندفعت أمل تقول:
"شوفي إزاي بتجاوب! لو أنا كنت قلت كده زمان..."
قاطعها حسين بهدوء:
"سيبوها. لما تحب تاكل... هتطلب الأكل بنفسها."

جلست ندى تحت الطاولة بقية المساء، تقرأ كتابها عن الحيوانات الغريبة، تتظاهر بعدم الاكتراث.
لكنها في قلبها شعرت بنشوة صغيرة: صوتي مهم، مسموح لي أقول لأ.

في الليل، وقبل النوم، كانت سعاد تجلس قربها على السرير.
"بتفكري في إيه؟"
همست ندى:

"أنا هبقى كاتبة... وهكفي حكايات للناس."
قالت الأم وهي تربت على شعرها:
"وهنكون فخورين بيكي... وأنا كمان هبقى أول واحدة تسمعهم."

أغلقت ندى عينيها، حضنت كتابها، وهمست في داخلها:
"أنا حُبني بيت... بيت من الكلمات."

وفي الخارج، كانت المدينة تتنفس ليلاً، ترسل إلى قلب ندى وعوداً بحكايات قادمة، وأحلام تنتظر أن تُكتب.

الكراسة كان هدية من والدها — غلافه أزرق فاتح، عليه صورة وردة صغيرة في الزاوية.
ندى كتبت على الصفحة الأولى، بقلمها الأخضر:
كراسة ندى — محدّش يفتحها غيري

...ثم بدأت

الصفحة الأولى

٢ فبراير ١٩٦٩

أنا اسمي ندى.
وأنا بحب الحكايات قوي.
وأنا ساعات بحس إن الحكايات بتطير حوالين رأسي وأنا نائمة.
فيه نجمة صغيرة كنت بشوفها من الشباك، بحسها بتضحك لي.
لو النجمة بتقدر تكتب، كنت هاقول لها تعلمني إزاي أكتب من غير ما أخاف

الصفحة الثالثة

٢١ فبراير ١٩٦٩

النهاردة بابا قرا لنا حكاية عن بلاد كانت هناك من زمان.
أنا سألته ليه البلاد دي راحت؟ قال لي: "عشان اللي كانوا فيها نسوا يحكوا الحكاية."
أنا مش عايزة أنسى ولا حاجة. عشان كده أنا بكتب هنا

الصفحة الخامسة

٧ مارس ١٩٦٩

أنا زعلت من أمل.
هي قالت لي "إنتي بتتخيلي كثير."
أنا شايفة إن التخيل مش غلط. هوزي لما نغمض عينينا ونشوف اللي نفسنا نشوفه.
أنا كتبت قصيدة صغيرة عشان أقول لأمل إن التخيل حلو

فيه قطة طارت فوق شجرة"
وفيه ولد شاف فراشة منورة
وفيه بنت بتحلم تحكي
قصص تحبها النجوم المسافرة

الصفحة السابعة

١٤ مارس ١٩٦٩

أنا خايفة شوية.. ماما تعبت النهاردة.
أنا ما بحبش أشوفها تعبانة.
أنا قعدت تحت الترايبزة وكتبت لها ورقة

"ماما ما تخافيش. أنا هنا وهحكي لك كل يوم حكاية لحد ما تفرحي تاني"

البلكونة العالية

لم تكن البلكونة مجرد مكان في بيت عائلة حسين عبد الحميد.
كانت عالم ندى السري، المقعد المعلق الذي تُطلُّ منه على الناس دون أن ينتبهوا لوجودها

كانت في السابعة، تجلس بعد كل غداء على المقعد الصغير بجوار السور الحديدي المطلي بلون أبيض مقشور، تسند خذَّها على يدها، وتحَدِّق في الشارع أسفلها.

البيت يطلُّ على شارع ضيق في حي قصر العيني، تمر فيه عربات الكارو، وبائعو البالونات، وأطفال المدرسة، وعجوز يجلس كل صباح على الرصيف يقرأ الجريدة.

ندى كانت تحفظ وجوههم.
تعطي لكل واحد منهم اسماً من عندها:
العجوز اسمه "الخواجة الصامت"،
البائع الشاب "سيد البالونة"،
الطفلة التي تمر كل صباح ومعها سندويتش فول "الفتاة الخارقة"

كانت تكتب عنهم في دفترها:
"الخواجة الصامت يقرأ الجورنال، بس شكله مش بيقرأ، يمكن بيدور على خبر... أو يمكن مستني حاجة معينة

في يوم من أيام الشتاء، نزل المطر بغزارة.
الجميع أغلقوا النوافذ، إلا ندى.
خرجت إلى البلكونة، وقفت تحت المظلة، نظرت إلى الشارع المبلل، وقالت لنفسها بصوت منخفض:
"الدنيا بتغسل روحها

كانت لا تخاف من الليل، ولا من الوحدة.
بل كانت تخاف من اللحظات التي تبدو عادية لكنها تحمل شيئاً غريباً لا تفهمه

سامي مرّ من خلفها، نظر إليها وقال:
"أنتي واقفة ليه زي الناس اللي بيستنو حد مش هيجي؟"
ردت دون أن تلتفت:
"يمكن حد جوايا هو اللي لسه ما جاش."
رمى عليها قطعة بسكويت وضحك: مجنونة رسمي

في البلكونة، كانت ندى تتأمل الحياة وتعيد ترتيبها.
كانت ترى الجارة التي تصرخ على أولادها، وتكتب في دفترها:
هي مش غاضبة... هي بس تعبت ومحدث سمعها

ترى سيدة تضحك في التاكسي، وتدوّن:

ضحكتها طويلة أوي... يمكن بتحاول تخنق حاجة كانت هتخليها تعيط

حتى طيور الحمام التي تهبط على السور، كانت تكتب عنها كما لو كانت رسائل من السما

في أحد الأيام، وجدت أمها دفترها.
قلبت بهدوء، قرأت بعض الجمل، شعرت بشيء غريب في صدرها —
ندى ليست فقط تكتب...
إنها تفهم ما بين السطور

سألتها في المساء وهي تمشط شعرها:
"ندى... إنتي بتشوفي الحاجات دي فين؟"
"من هنا..." قالت، وأشارت إلى صدرها.
ابتسمت الأم وربتت على قلبها:
"خلي بالك من الحتة دي... اللي عنده قلب شايف، لازم يعرف يحميه"

في مساء آخر، وبينما كانت ندى تراقب العجوز الذي يقرأ الجريدة، رأت شيئاً جديداً.
لأول مرة... كان العجوز يبكي.
حاول مسح دموعه بطرف الجريدة، ثم طواها بعنف ومشى ببطء

لم تكتب شيئاً في الكراسية تلك الليلة.
فقط رسمت نقطة كبيرة على الصفحة الفارغة.
وأغلقت الكراسية دون صوت

ومنذ ذلك اليوم، لم تعد البلكونة فقط مكاناً للمراقبة.
صارت مرآتها.
وفي قلبها، كانت جملة تتكرر

"أنا مش بتفرج على الناس... أنا بسمع الحكايات اللي محدش قالها"

أول فقد

كان صباحاً عادياً

ندى، في سنتها الثامنة، كانت تمسح زجاج البلكونة بقطعة قماش قديمة كما تفعل كل يوم جمعة.
توقفت فجأة حين رأت العجوز الصامت يمرّ دون جريدته.
شعرت بشيء غريب، وكأن العالم تغيّر قليلاً في حركته، وكأن شيئاً لا يُرى... انكسر

في الداخل، كانت أمها، سعاد، جالسة على الكنبة، تمسك بكوب الشاي وتقرأ قصيدة لمحمود درويش بصوت خافت

بنتي... اسمعي دي:"
وأحن إلى خبز أمي... وقهوة أمي... ولسة أمي..
كأن الشاعر بيحكى قلبي

طب وإنّ يا ماما؟ بتحني لإيه؟"
ضحكت سعاد وقالت:
"أنا بحن ليكونا إنتوا... وانتوا لسه معايا

بعد الغداء، شعرت سعاد بتعب مفاجئ.
وضعت يدها على صدرها، حاولت النهوض، لكنها تعثرت

ندى كانت أول من لاحظ.
"ماما؟"
"أنا... بس شوية دوخة يا حبيبتني... نادوا بابا بسرعة

في لحظة، امتألاً البيت بالحركة والهمس والقلق.
حسين حملها إلى السيارة.
ندى وقفت عند الباب، لا تبكي، لا تتحرك، فقط تمسك بوشاح أمها الذي نسيته على الكنبة

في المساء، عاد والدها وحده.
وجهه كان رمادياً.
جلس على الأرض، وضم أولاده الثلاثة

"...ماما راحت"

سامي انفجر باكياً.
أمل جلست في صمت مصدوم.
ندى... لم تقل شيئاً.
كانت تمسك بالوشاح، تضعه على وجهها، وتشتّمه كأنها تحاول حفظ آخر رائحة

في الليل، كتبت في دفترها:
"ماما راحت قبل ما تخلص القصة اللي كانت بتحكيها... كنت عايزة أعرف النهاية

الأيام التي تلت كانت باهتة

الجيران يأتون، يخرجون، يحملون الطعام، يربتون على رؤوسهم، يقولون جملاً محفوظة.
لكن ندى لم تسمع منهم شيئاً

جلست في البلكونة في صباح اليوم الثالث، ورأت طائرًا صغيرًا يقف على السور...
بدا ضائعًا. كأنه يبحث عن عش

في دفترها، كتبت:
"أنا الطائر... البيت لسه هنا، بس العش مش دافي

حسين تغيّر. أصبح أكثر صمتًا، لكنه أكثر قربًا.
صار يمشي مع ندى كل صباح إلى المكتبة، يمسك يدها كأنها أصبحت شبيهة الأخير الهشّ

عايزة إيه المرة دي؟"
"كتاب عن الحواديت اللي ما خلصتتش."
قالتها دون أن تضحك. لكنه اشترى لها كراسة جديدة

أمل، التي كانت دومًا مشغولة، بدأت تطبخ، تنظّف، ترتب الشراشف.
لكنها فقدت خفة صوتها.
"ندى، خلّي بالك من سامي."
قالتها يومًا، ثم أغلقت باب غرفتها ويكت للمرة الأولى

ندى رأت ذلك.
في الليل، كتبت:
". أمل بقت كبيرة بسرعة.. وأنا كمان

:في عزّ لحظة الوحدة، كانت ندى تكتب لأمها كما لو أنها تراها

ماما، فيه حاجات كنت عايزة أقولك عليها.."
أنا زعلت منك لما قلتيلي لا على الرحلة..
بس كنت ناوية أفزحك بالرسم اللي عملته في المدرسة.
كان فيه وردة شبه اللي بتحطيتها في شعرك..
". لو شفّتها، كانت هتعبك

مرت أسابيع، ثم شهور.
البيت تغيّر.
لكن البلكونة ظلت كما هي

.وفي مساء خريفي هادئ، جلست ندى هناك، وفتحت الكراسة الجديدة

كتبت أول جملة:
". ماما، أنا هكمل القصة بنفسي

الكراسة الجديدة لها غلاف أحمر قماشى قديم، كُتِبَ على أول صفحة:
"النسخة الجديدة مني"

الصفحة ١٣

١٣ ١٩٧٢ سبتمبر

النهاردة المدرسة قالت نكتب عن "أكثر شخص نحبه".
الكل كتب عن مامته.
وأنا كتبت عن ماما برضه.. بس ما قلتش إنها مش موجودة.
المُدْرَسَة قالت لي: "كتابك فيها حزن جميل."
أنا ما كنتش عايزة أكون حزينة.. أنا بس كنت بكتب الحقيقة

الصفحة ٢٠

٢٥ ١٩٧٢ أكتوبر

بابا بيحب يقعد ساكت. بس لما بسأله سؤال، بيرد كأنه كان مستني إنني أسأل من بدري.
سألته: "ليه ماما راحت بدري؟"
قال لي: "علشان كانت خفيفة أوي.. والدنيا كانت ثقيلة."
أنا ما فهمتش قوي.. بس حسيت قلبي بيرق

الصفحة ٢٨

٨ ١٩٧٢ ديسمبر

أمل بتزعق كثير اليومين دول.
أنا عارفة إنها تعبانة، بس لما بتزعق بحس إن البيت بيصغر ويضيق.
كتبت لها جواب صغير وسبته على مخطتها

أنا بحبك.. بس ياريت صوتك يبقى أهدى شوية."
أنا عندي أذن بتوجعني من الزعيق.. وقلب بيزعل من انك زعلانة

الصفحة ٣٢

١٦ ١٩٧٢ ديسمبر

النهاردة حلمت بماما. كانت واقفة في البلكونة بتضحك.
قلت لها: "استني، عايزة أحكيك حاجات كتير."
بس صحيت قبل ما أبدأ

كتبت الحلم هنا... يمكن لو حلمت بيها تاني، أعرف أكمل

الصفحة ٣٩

٣ يناير ١٩٧٣

أكثر حاجة بخاف منها مش الضلمة..
أنا بخاف إنني أتحول لشخص ما يحسّس بالحاجات زي زمان.
مش عايزة أكون كبيرة وأقول: "عادي".
عايزة أفضل أندھش.
حتى لو الناس ضحكوا عليّ

الصفحة ٤٤

١٨ يناير ١٩٧٣

أنا عايزة أكتب كتاب يومًا ما...
هيكون فيه بنت بتشوف اللي محدش شايفه، وتكتب اللي مش بيتقال.
مش لازم تكون مشهورة.
بس لازم حد يقرأه... ويحس إنه مش لوحده

ملاحظة ندى الأخيرة أسفل الصفحة:
".أنا مش دايمًا قوية... بس دايمًا عندي قلم

صدي الأيام

مرت سنوات الفقد ثقيلة — كأن الزمن نفسه صار يمشي بحذر في بيت عائلة حسين عبد الحميد

ندى... كبرت فجأة.

لم تعد الطفلة التي تجلس في البلكونة وتراقب العالم بدهشة فقط.
أصبحت مراهقة صامته، عميقة النظرة — تحفظ كثيرًا، تقول قليلاً

.كانت في الثانية عشرة حين بدأ التغيير يظهر جلياً

في المدرسة الإعدادية الجديدة، لم تشبه زميلاتها.
لم تهتم كثيراً بالموضة أو المسلسلات أو الحكايات المكررة عن الحب.
كانت تهتم بما لا يُقال — بما يقع بين نظرة ونظرة، بين جملة وجملة

وفي فترات الاستراحة، كانت تجد ركنًا في فناء المدرسة، تفتح دفترها الأزرق، وتكتب:
".الناس بتتكلم كثير... بس أنا بحب أسمع الصمت اللي بينهم

.في البيت، تغير كل شيء

أمل صارت شبه الأم.

تنظم المطبخ، تراجع دروس سامي، تضع القوانين.

لكنها صارت أكثر حدة مع ندى "ندى... فوقتي شوية. مش كل يوم قاعدة تكتبي كأنك في دنيا لوحدك!"

فترد ندى بهدوء ظاهري:

".أنا بكتب عشان أعيش في الدنيا دي... مش أهرب منها

. كان الحوار بينهما دائماً معلقاً — حب لا يُنكر، لكن اختلاف لا يُقل

سامي ظل رفيقها، لكن حتى هو بدأ يبتعد قليلاً مع دخوله سن المراهقة.

صار يخرج أكثر، ويهتم بأشياء لا تهتم ندى

أما الأب، حسين، فقد أصبح أكثر صمته، أكثر حضوراً في حياة ندى بشكل هادئ.

كان يراها تكتب في المساء قرب النافذة، فيقول:

"الكتبي... خلي الكلمة تحميكي."

ثم يضع كتاباً جديداً على الطاولة دون تعليق.

كانت هداياه صامته، لكن مليئة بالحب

ذات صباح شتوي، دخلت المدرسة متأخرة.

حصّة اللغة العربية قد بدأت فعلاً.

المعلمة الجديدة، ميس نهي عزيز — امرأة ثلاثينية ذات عيّنين نافذتين — كانت تكتب بيتاً من محمود درويش على اللوح:

".على هذه الأرض ما يستحق الحياة

جلست ندى في مقعدها الأخير، وكتبت في دفترها:

".وأنا... عندي حكايات تستحق الكتابة

.ميس نهي لاحظت ندى سريعاً

في أحد الأيام، جمعت مواضيع التعبير.
عادت في الحصّة التالية، نظرت إلى الصف وقالت:
".فيه طالبة كتبت موضوع... مختلف

ثم قرأت بصوت مسموع

أنا أكتب لأن الكلمات تفهمني حين لا يفهمني أحد."
أنا أكتب لأرى ما لا يراه الآخرون.
".أنا أكتب لأتذكر، لأن النسيان موت صغير

ندى جلست شديدة التوتر، كأن جسدها كله على الحافة.
لكن حين انتهت القراءة، رفعت ميس نهى نظرها وقالت بابتسامة:
".ندى عبد الحميد... استمري

كان ذلك أول اعتراف خارجي بما تحمله كلماتها.
لحظة محفورة في القلب

بعدها، صارت ميس نهى تتحدث معها أحياناً بعد الحصص.
"ندى... له بتكتبي؟"
أجابت الفتاة بعد تردد:
".عشان في حاجات جوة... مش عارفة أقولها لحد

ابتسمت المعلمة وقالت:
"ده سبب كفاية جداً."
".بس افتكري دايماً: اللي يكتب... لازم كمان ما يخافش يسمع صوته

.ومن هنا بدأ صراع جديد

ندى صارت تريد أن تنشر كلماتها، لا تبقها في الكراسة السرية.
لكن كلما فكرت أن يقرأها الآخرون، ارتجف قلبها:
".ولو ما فهموني؟ ولو ضحكوا؟ ولو خافوا مني؟

في تلك الأيام، بدأت حكايتها مع الخوف من العالم.
الكتابة ملاذ... لكنها كانت خائفة من الباب الذي سيجعلها تواجه العيون

:وفي الليل، كتبت

من دفتر ندى — مقطع

أنا بكتب... وبخبّي الكراسة."
لو طلعت... هيبقى في دنيا جديدة.
".وأنا مش جاهزة أوي... لكن نفسي أكون

الى ميس نهى... اللي علمتني أكتب وأنا خائفة

.أنا كتبت كلمتين بس يمكن ما عرفش أقولهم في وش حضرتك

أنا مش متعودة حد يقرأ اللي بكتبه.
لما حضرتك قرיתי الموضوع في الفصل، كنت حاسة قلبي بيجري أسرع من كل العيال اللي في المدرسة.
وبعدين لما حضرتك قلتني "استمري"... حسيت إنني عندي جناحات

أنا مش عارفة أكتب ليه بالطبط... لكن بحس لو ما كتبتش، حاجة جوايا هتتكسر

شكراً

المدينة الأخرى

كان ذلك الخريف الذي غادرت فيه ندى البيت الأول إلى مدينة أخرى

القاهرة نفسها...

لكنها الآن في قلب الجامعة، في مدينة الطلبة.

كانت قد حصلت على منحة لدراسة الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، واختارت أن تسكن في سكن الطالبات — قرار أربك الأب، أغضب أمل، أسعد سامي الذي قال مازحاً:

"!شوفوا ندى هتبقى أديبة في بيت لوحدها

لكن ندى كانت تعرف.

.إن لم تخرج... لن تكتب ما يستحق

في السكن، وجدت عالماً مختلفاً.

فتيات من كل الأحياء، كل الطبقات.

صاحبته في الغرفة كانت هدى — فتاة سمراء، مرحة، تحب الأفلام الرومانسية وتكتب رسائل وهمية إلى نجوم السينما.

قالت لها في الليلة الأولى:

"إنتي باين عليكي لا كاتبة ولا حاجة."

ردت ندى بابتسامة نصف خجولة:

". بكتب... بس مش عارفة أقول كاتبة

لكن هدى أعجبت بندى.

كانت تقول لها:

"إنتي لما تحكي... بحس الصورة قدامي."

.وبدأت تجذبها أكثر إلى العالم الاجتماعي

في الكلية، صارت ندى صديقة الحكايات.

لم تكن الأكثر شعبية، ولا الأجرأ، لكنها الفتاة التي يمكن أن تجلس بجانبك في مقهى الجامعة، وتسمعك حتى تنتهي... ثم تقول جملة واحدة تغير نظرتك. كانت تمتلك تلك القدرة: **الإنصات العميق والكلمة الموجزة**

في أحد الأيام، جاءت زميلة تبيكي بعد فشل حب.

الكل كان يواسيها بكلمات روتينية.

ندى جلست بجانبها، صامتة.

ثم قالت:

". مش لازم تعملني إنك قوية... كوني اللي إنتي عليه دلوقتي. الضعف مش عيب

:بعدها كتبت في دفترها

". الناس بتحب اللي يسمعهم.. مش اللي ينصحهم بس"

في القسم، لفتت انتباه أستاذ شاب — د. كريم صادق — معيد شغوف بالأدب الحديث.

كان يقرأ مقاطع مما تكتب في حصص النقد، وأحياناً يتوقف أمام جملة، يرفع نظره ويقول:

". ندى... دي جملة حقيقية جداً

.كان أول رجل تراه ينظر إلى ما تكتب قبل أن ينظر إليها كفتاة

تدرجياً، صار بينهما حوار أدبي.

بعد الحصة، كانت تجد نفسها تمشي معه إلى مكتبة الجامعة.

مرة قال لها:
"إنتي مش بتكتبي عشان تعجبي الناس... بتكتبي عشان ما تخونيش نفسك. ده نادر."
قالتها كأنها تعترف:
"أنا بخاف أنشر... بخاف ما يفهمونيش."
ابتسم وقال:
".اللي ما يفهمش... مش مهم. المهم اللي هيفهم

بين أصدقائها، كانت ندى مزيجاً من الغموض والصدق.
لم تكن تشارك في كل النزاهات.
لكنها كانت تكتب يوميات صغيرة عنهم، ثم تقرأها بصوت خافت في السكن.
كانوا يحبون هذا الطقس

مرة كتبت عن هدى:
".هدى بتضحك عشان تنام. يمكن لو بطلت تضحك... مش هتعرف تنام

هدى بكت حين سمعتها

ثم جاء الحب الأول... ببطء

كريم صار أكثر حضوراً في يومها.
كان يعيرها كتباً نادرة، يدعوها إلى ندوات أدبية.
وفي لحظة هادئة بين أكوام الكتب، قال لها:
"أنا بكتب عنك... من غير ما تعرفي."
لم تعرف كيف ترد.
ارتبك قلبها — لأول مرة تحس بالخوف من مشاعرها

لكن العلاقة بقيت نصف مكتومة — بين الإعجاب الصامت والحوار العميق

في تلك الفترة، كتبت ندى في دفترها

أنا نفسي أحب... بس ما ينفعش أحب لو مش أنا."
".أنا نفسي لو حد حبني... يحبني وأنا بكتب... مش وأنا ساكتة

ثم جاءت الخيبة.
كريم حصل على منحة للسفر إلى الخارج.
قبل سفره، التقيا في مقهى صغير قرب الجامعة.
قال لها:
"أنا كان نفسي أأخذك معايا في الحكاية دي... بس السفر ده حلم قديم."
ابتسمت بمرارة:
".أنا فاهمة... مش كل الحكايات لازم تكمل

عادت إلى سكنها تلك الليلة، لأول مرة تبكي طويلاً.
لكنها لم تكتب.
فقط نظرت إلى الصفحة البيضاء، وهمست:
".يمكن في يوم... أكتبك

وهكذا، في المدينة الأخرى

- عرفت ندى معنى الحب الذي لا يكتمل
- عرفت أن الكتابة ليست هروياً، بل سلاحها الشخصي
- صارت تكتب أكثر — وتنشر أحياناً في مجلة الجامعة
- صارت الفتاة التي يهمسون عنها:
".ندى؟ اللي بتكتب الحاجات اللي وجعها حلو؟ أيوه.. دي

:وفي الليل، كتبت

أنا دلوقتي بحس الدنيا كبيرة أوي... وفيها وجع مالح شوية.
حبيت، وخسرت... بس لسة كسيانة نفسي.
دلوقتي لما بكتب... بحس إن الورق مش مجرد ورق — ده زي حزن

أنا خايقة شوية... بس كمان قوية شوية ...

مرآة القلب

كانت ندى قد عادت إلى السكن في بداية عامها الثالث في الجامعة... مختلفة

لم تكن الفتاة الصامتة تماماً كما عرفها زميلاتها.
كانت أكثر وعياً بنفسها — أكثر رغبة في أن تكتب للعالم لا فقط في الكراسي.
لكن مع ذلك...
لم تكن تعرف هل هذا العالم مستعد لها — وهل هي مستعدة له

في إحدى أمسيات نوفمبر، دفعتها هدى — صديقتها المقرّبة — إلى المشاركة في مسابقة كتابة أدبية ينظمها قسم الأدب

إنتي تكتبي وتخلي الورق مستخبي؟ ماينفعش!"
"أنا مش واثقة... لو حد ضحك؟"
".يضحك... وإنتي تكلمي. مش مهم

في النهاية، كتبت نصاً بعنوان:

عن قلب يمشي على الأرض

نصّ صادق، فيه وجع الحب الأول، وصوت الأم الغائبة،
قدّمته... وانتظرت

عن قلب يمشي على الأرض

(نص في دفتر ندى — سنة ثالثة جامعة)

في الليالي الباردة... أشعر كأن قلبي يمشي وحده على الأرض.
لا بيت، لا حضن، لا يد تأخذه إلى الأمان

أمي ماتت.

كنت صغيرة... أصغر من أن أفهم ماذا يعني الموت.

قالوا لي: راحت عند ربنا.

لكنهم نسوا أن يقولوا لي: كيف أعيش وأنا أفنتقدها كل يوم؟

كيف أنام دون أن أسمع صوتها وهي تقول لي: تصبحين على خير يا ندى؟

كبرت...

وتعلّمت أن أبتسم أمام الناس، وأقول: أنا بخير.

لكن في قلبي... مدينة كاملة لا تعرف الفرح

ثم جاء الحبيب.

لم أطلب منه أن يكون بطلي... فقط أردته أن يجلس بجانبني قليلاً، حين أتعب من المشي.

كان صوته دافئاً... كأنني أسمع أمي فيه.

وكانت عيناه تقولان لي: إنتي مش لوحدة.

أمنت للحظة أن القلب يمكن أن يجد بيتاً جديداً

ثم... سافر.

وكان كل شيء سافر معه.

تركتني أمام مدينة الوحدة... مرّة أخرى

أنا لا ألومه.

ولا ألوم أمي لأنها رحلت.

ولا ألوم الحياة.

أنا فقط... أتعب من هذا القلب الذي لا يتوقف عن المشي

كل ليلة... أجلس وحدي... أكتب.

أكتب كي لا أنسى أمي.

أكتب كي لا أنسى نفسي.

أكتب كي لا أكره هذا القلب الذي يمشي على الأرض ولا يجد موطناً قدم دافئاً

أنا...

لا أطلب الكثير.

فقط... لو رأيتم فتاة تمشي في الشارع شاردة... خففوا صوت العالم حولها.

ربما قلبها متعب من المشي

ندى عبد الحميد

سنة ثالثة — كلية الآداب

ليلة عادية... ككل الليالي التي مشيتُ فيها دون أن أصل

ثم جاءت النتيجة:
نُشر النص في مجلة القسم

فرحت — بقدر خوفها.
وفي أول يوم علّقوا النسخة على لوحة الإعلانات، وقفت ندى أمامها، قلبها يدق بعنف

مرت مجموعة من الطلاب.
سمعت أحدهم يقول:
"إيه الحزن ده؟ البنت دي كأنها كاتبه نعي مش قصة."
ضحكوا

ندى شعرت كأن أحدهم لكمها في صدرها.
اختنقت.
ركضت إلى السكن

في الليل، لم تكتب.
جلست تحقّق في الورق.
ثم كتبت سطرًا واحدًا

"هو أنا فعلاً حزينة كده؟ يمكن.. بس مش ده كله أنا"

في الأيام التالية، لاحظت شيئاً غريباً:
بعض الفتيات جنن إليها في الكلية، خلصة

إنتي اللي كاتبه النص ده؟ أنا قرينه... حسيت إنني مش لوحدي."
"أنا قرين قصتك... أمي ماتت السنة اللي فاتت. كان نفسي أكتب كده

حينها فهمت.
الكتابة ليست للجميع.
لكنها تنقذ من يحتاجها

.الواقع ظلّ قاسياً

• ندى كانت تعمل جزئياً في مكتبة الجامعة لتدبر مصاريفها — عائلتها بالكاد تغطي مصاريف السكن

• أحياناً لم يكن عندها وقت للطعام — يوم واحد عاشته على بسكويت وشاي فقط

• شعرت أن العالم يمضي بسرعة — زميلاتها مخطوبات، يخططن للزواج...
وهي؟

دفتري، كتب، قلب يكتب أكثر مما يعيش

في البيت، تغيّرت علاقتها مع أمل

في إجازة قصيرة، عادت ندى إلى بيت العائلة.
جلست مع أمل — بينهما مسافة كانت موجودة لسنوات.

لكن أمل صارت مختلفة — امرأة عاملة، مسؤولة.
قالت فجأة:

"أنا قرّيت قصتك اللي في المجلة."

اندهشت ندى.

"إزاي؟"

". سامي جابها... قعدت أقرأها... وقعدت أبكي

طأطأت ندى رأسها

قالت أمل:

". أنا كنت بفكرك بتحلمي زيادة... بس لأ. إنتي عندك صوت. كملّي. حتى لو الدنيا مش بتفهم

كانت تلك من أقوى اللحظات في حياة ندى.

لأول مرة...

أمل تراها امرأة كاملة — لا مجرد أختها الصغيرة الحاملة

في تلك الليلة، عادت إلى غرفتها في بيت العائلة، وكتبت

أنا خفت... ونشّير النص.

وفي الأول... بكيت.

وبعدين... جت واحدة وقالت لي: إنتي كتبتني قلبي

ساعتها فهمت: مش لازم يعجب الكل.

يكفي يعجب اللي محتاجه

أنا تعبت شوية.

فيه أيام مفيهاش أكل... ولا نوم... بس فيه دايمًا كلمة مستنياني

أمل... قالت لي: كملّي

فأنا هكمل

الكتابة خلاص... ليست خياراً بعد اليوم

كريم

لم تكن تتوقع أن تراه مجدداً

بعد عام من سفره، عادت إلى بيت العائلة في إجازة قصيرة — كانت تمشي في شارع طلعت حرب ذات مساء، بين واجهات الكتب والأثوار القديمة، حين سمعته يناديها

"ندى؟"

التفتت.

كان هو — كريم — يحمل حقيبة جلدية، ملامحه أنهكتها الغربة قليلاً... لكنه كان هو

توقفت لحظة — قلبها يقفز.
ثم قالت، بثبات ظاهري:
"إنت رجعت؟"
".لسه من يومين... كنت بحاول أرجع لحياتي

.كان صوته يحمل نفس الدفء... لكن فيه ظلّ تعب جديد

في الأيام التالية، التقيا صدفة — أو بترتيب خفي منهما — أكثر من مرة

في مقهى هادئ، جلسا قرب النافذة.
طلبت ندى شايًا بالنعناع.
نظر إليها كريم طويلاً، ثم قال:
"إنتي كتبتني... صح؟ أنا قرّيت نصّك."
ارتبكت.
"أه... نص قديم."
".قديم... بس وجعني

ثم صمت لحظة.
".ندى... أنا غلّطت إني سافرت كده. كان فيا أنانية كبيرة
رفعت نظرها إليه.
قالت بهدوء:
".يمكن... بس أنا كمان كنت وقتها مش عارفة أنا عايزة إيه

.في لقائهما التالي، جلسا على سور كورنيش النيل، مساءً

قال كريم:
"أنا بحبك... يمكن دايماً كنت بحبك. بس دلوقتي أنا خايف أقولك كده."
نظرت إليه، بصوت خافت:
"ليه؟"
".عشان إنتي دلوقتي بقيتي قوية... كاتبه. خايف أخدك لدوامه حب تكسرك

ضحكت ندى لأول مرة ضحكة صافية:
".وأنا كمان كنت خايفة... خايفة أحب وأضيع. بس أنا مش هضيع. ولازم اللي هيحبني... يحبني وأنا بكتب

قال كريم:
".أنا عايزك تكتبي أكثر... مش أقل. لو هنعيش الحكاية دي... نعيشها وأنتي ندى الكاتبة... مش ندى اللي خايفة

مرت الشهور.

.العلاقة بينهما لم تكن مثالية — كانت علاقة ناس حقيقيين

.كريم يعمل كثيرًا — أحياناً يغيب أياماً في عمله الصحفي

.ندى تكتب ليلاً — تعيش عزلاتها أحياناً، فيغضب كريم

مرة في جدال صغير، قال لها:

"أنا محتاجك معايا أكثر... مش دايماً في الورق!"

فردت، بعين دامعة:
"!!" والورق ده أنا... لو حبيتني لازم تحبني وأنا بكتب كمان

بعدها جلس بجانبها طويلاً، صامتاً، ثم همس:
".حقك، أنا اللي محتاج أتعلم أحبك صح

.علاقتهما أصبحت مزيجاً من الحب والحذر.

:كانت ندى تكتب في دفترها

أنا مش عايزة قصة حب تاخدني مني." "أنا عايزة حب يخليني أكتب أكثر... وأطير أكثر... ولو وقعت، يمدلي إيدته مش يقيدني

:وفي لحظات بسيطة جداً — في المقاهي، في شوارع وسط البلد، في نزعات قصيرة على النيل — تعلمت ندى أن

-
-
-

.الحب لا يجب أن يكون غزواً

.والحب لا يجب أن يكون تنازلاً

.يمكن أن يكتب حب ناضج... حب ناس حقيقيين، بخوفهم، وحنانهم، وشكوكهم

في لقاء أخير قبل عودتها إلى الجامعة، وقف كريم أمامها، قال:
"أنا هحاول أتعلم أحبك زي ما إنتي محتاجة... ولو فشلت، أوعي توقفي كتابة."
هزّت رأسها، وعيناها تلمعان:
".وأنا كمان... لو فشلنا، مش هبطل أكتب عنك

.ثم ضحكا معاً... كاتبين أول سطر في علاقة ليست مثالية، لكنها حقيقية

بيت الأمل

كان زواجهما بسيطاً

في شقة صغيرة بحي الدقي، في عمارة قديمة رطبة الجدران، بدأ كريم وندى حياتهما المشتركة. الأثاث مستعمل، الأطباق غير متطابقة، ولم تكن هناك "نيش". لكن على رفّ صغير بجانب النافذة، ربّت ندى كتبها: درويش، غادة السمان، فرجينيا وولف، نجيب محفوظ

أهم نيش في البيت. " قالت وهي تضحك. " فابتسم كريم، وقبل رأسها: " طول ما الكتب دي هنا ... إحنا في أمان

الحياة... لم تكن سهلة

- كريم يعمل في جريدة يومية — عمل متقلب، راتب بالكاد يغطي الأساسيات
- ندى بدأت تكتب مقالات صغيرة في المجلات — أجر رمزي
- أمل أرسلت جهازاً بسيطاً من بيتها — قالت لها في الهاتف: "أنا عارفة إنك مش هتبقى ست بيت عادية... بس خلي بالك، برضه الراجل محتاج بيت مستريح." ضحكت ندى: "هعمل بيتنا زي ما نحب إحنا الاتنين... مش زي الكتاب بيقول

لكنها شعرت بالضغط... لأول مرة

مرت الشهور، وحملت ندى

في البداية فرحت... ثم جاء الخوف. هل سنتوب في هذا الدور؟ أمها رحلت وهي صغيرة — تخاف أن تفشل كأم، تخاف أن تتوقف عن الكتابة

قالت لكريم ذات ليلة وهي تبكي: "أنا خايفة... خايفة أبقى أم مش كاتبة... أو كاتبة مش أم كويسة." ضمها كريم بقوة وقال: "هتكوني الاتنين... وهتكوني أعظم من الاتنين

لكن الأيام لم تكن رحيمة

- الحمل كان صعباً — قميء مستمر، تعب شديد
- كريم مرهق من العمل — لا يستطيع دائماً أن يكون حاضراً
- المال شحيح — كانوا يديرون حياتهم بمفكرة إنفاق يومية

مرة، جلسا معاً يعدّان النقود. قال كريم وهو يضحك بمرارة: "نشترى الأكل... ولا نطبع مقالاتك في المجلة الجديدة؟" قالت ندى، بعنادها المعتاد: "نطبع المقالات... ونتعشّى شاي وبقسمات

وضرباً كُفّاً بكف — ضاحكين رغم الجوع

ثم جاءت ليلى

الولادة كانت قاسية — ندى عاشت لحظات خوف شديد.
في المستشفى، حين سمعت صرخة الصغيرة، انهارت بالبكاء.
كريم أمسك يدها، دموعه تلمع:
".إنّتي... أعظم قصة أنا عرفتها

.الأيام التالية كانت حرباً صغيرة

.ليلى تبكي كثيراً — ندى مرهقة، لا تنام

.الكتابة؛ أصبحت رفاهية.

.كانت تنام وهي تحضن الطفلة، ثم تصحو على رغبة مجنونة في كتابة جملة... ولا تجد الوقت

:في إحدى الليالي، نهضت من السرير، جلست على طاولة المطبخ في ضوء خافت، وكتبت على ظهر ورقة فواتير

أنا دلوقتي مش بس ندى.. أنا أم ليلى."
".بس لسه ندى جوايا بتصرخ: اكتبيني.. متسيبونييش

.الضغط الاجتماعي بدأت تظهر

.الجيران يقولون:

".... كاتبة؟! ومين هيقرأ الكلام ده؟! خليها تربي بنتها

.أمل زارتها وقالت:

".إنّتي عارفة... الأمومة مش لعبة. خدي بالك من بنتك الأول

.سامي دعمها:

".إنّتي تكتبي، وإحنا نربي... إنّتي أقوى من ده كله

.لكن ندى صمّمت

.خصصت ساعة يومية — مهما كان — للكتابة

.كتبت وهي تحضن ليلى، وهي تهددها

.كتبت عن الأمومة — عن الخوف، الحب، التعب، الأمل

.ونشرت أول مقال صريح بعنوان:

"عن قلب يكتب وهو يحتضن طفلة

عن قلب يكتب وهو يحتضن طفلة

(بقلم: ندى عبد الحميد)

لو سألني أحدهم اليوم: ما أصعب شيء تعيشينه؟
لن أقول الوحدة.
ولا الفقد.
ولا حتى قسوة العالم

سأقول:

أن تحاولي أن تظلي "نفسك" ، بينما بين ذراعيك طفلة تحتاجك أكثر من أي شيء

ليلي ابنتي عمرها أشهر.
حياتي الآن غرفة صغيرة، رضعات في الفجر، غيارات حفاضات لا تنتهي، عيون متعبة لا تعرف النوم العميق.
لم أعد أملك الوقت.
ولا الطاقة.
ولا حتى تلك المسافة الصغيرة التي كانت تفصلني عن الورق... والتي كنت أهرب إليها حين يضيق بي كل شيء

الآن حين أنظر إلى دفترتي القديم على طرف الطاولة... أشعر كأنه يناديني.
لكن في نفس اللحظة... أسمع صرخة ليلي الصغيرة...
فأذهب.
وأحملها.
وأهددها... وأنا أكتب سطرًا في رأسي

أكتب وأنا أحضنها.
أكتب بين الرضعة والغفوة القصيرة.
أكتب على ورقة فواتير قديمة، وعلى ظهر كرتونة علبة الحليب، وعلى الموبايل وأنا في الحمام

أكتب لأنني لو توقفت...
سأفقد نفسي.
وأنا لا أريد أن أكبر ابنتي على أن أمها ذابت تمامًا.
أريدها أن تعرف — يوماً — أنني كنت أحبها جدًا...
لكنني كنت أحب الكتابة أيضًا... وأنه لا عيب في أن يكون للمرأة حياة داخلها، تعيشها حتى وهي أم

هل هو صراع؟ نعم.
هل هو مرهق؟ أكثر مما تتخيلون.
هل أشعر أحيانًا بالذنب؟ طبعًا.
حين تبتسم لي ابنتي وأنا أفكر في مقطع جديد لمقال.
أو حين تنام وأنا أهرب إلى الدفتر بدلًا من أن أنام معها

...

أنا أكتب الآن، وهي نائمة على صدري.
يدي تهتز أحيانًا، خوفًا أن أقطها.
وكل كلمة أكتبها... كأنها شريان صغير يعيدني إلى الحياة.

وأكتب... لأنني أريد أن تكون ليلي فخورة يومًا بأنها ابنة أمّ لم تخن صوتها... رغم كل ما في العالم من صخب

أنا اليوم...
قلب يكتب وهو يحتضن طفلة

وقد لا أكتب كثيراً.
وقد لا أكتب نصوصاً عظيمة.
لكن كل كلمة أنقذ بها نفسي...
هي هدية صغيرة أتركها لابنتي في هذا العالم

ربما...
حين تكبر...
ستفهم

ندى عبد الحميد
أمّ تحاول... وكاتبة لا تزال تمشي... ولو بين خطوتين صغيرتين

لاقي المقال صدى واسعاً — بعضهم هاجمها، لكن كثيرات كتبن لها:
"حسبتي اللي إحنا بنحسه... وإحنا مش بنعرف نحكي

وفي ركن بيتها الصغير...
كان هناك بيت أمل حقيقي

كُتب على الرفوف

كرسي هزان تهدد فيه ليلي

أوراق مبعثرة فيها قلبها

وكانت ندى تقول لنفسها كل يوم:
"أنا مش كاملة.. بس حقيقية.
وده يكفّي"

السقوط الثاني

كان مساءً رطباً في أواخر سبتمبر.
ندی تجلس على الأرض تلعب مع ليلي — عامها الأول — حين رنَّ الهاتف

.رفعت السماعة... وجاءها الخبر كلكمة لا تعرف كيف تتلقاها

حادث سير.

.كريم... مات

لم تصرخ.

.لم تبك في اللحظة الأولى

.وضعت السماعة ببطء، نظرت إلى ليلي التي ضحكت وهي تضرب على لعبتها الصغيرة

جلست أمامها، تشهق بصوت مكتوم... كأن الرئة لا تعرف كيف تأخذ هواءً.

.ثم... انهارت

.مرت الساعات غائمة

في الجنائز، وقفت كأنها غريبة في مشهد لا تعرفه.

الناس حولها يبكون، يواسونها، ينظرون إلى "الأرملة الصغيرة".

لكن هي؟

.لم تكن تعرف حتى كيف تحرك قدمها

في الليل، حين عاد البيت فارغاً...

كانت ليلي نائمة بين ذراعيها.

نظرت إلى السقف، وهمست:

"إزاي هكمل؟ إزاي؟"

.مرت الأيام كأنها كتل تلج ثقيلة

.أمل جاءت، ساعدتها أسبوعاً... ثم اضطرت للعودة إلى بيتها

.الأب، حسين، صار يزورها كل مساءً، يجلس صامتاً، يمسك يدها فقط

.سامي اتصل مراراً من الخارج — كان في بعثة عمل — يوصيها: "عيشي... عشان ليلي

لكن ندى؟

لم تعش.

عاشت بلا طعام

.تعنتي بليلى ألياً — تطعمها، تغير لها، تغني لها... ثم تنهار وحدها بعد نومها

.كانت أقسى لحظات حياتها

شعرت بالذنب:

"ليه أنا عايشة.. وهو راح؟"

شعرت بالعجز:
"أنا مش قادرة أكتب... أنا حتى مش قادرة أعيش

شعرت بالخوف:
"لو جralي حاجة... ليلي هتفضل لمين؟"

في أحد الليالي... بعد شهر كامل من الحزن الثقيل...
نهضت، لم تستطع النوم

:جلست أمام الكراسية... وكتبت له

كريم..
أنا مش عارفة أكتبك.
كل كلمة بتوجعني.
"أنا حتى مش قادرة أحكي ليلي عنك.. إزاي أحكي عنك إنك بقيت غايب؟"

ثم وضعت القلم... وبكت لساعات

.جاء وقت شعرت فيه أنها قد تفقد نفسها نهائياً

.وزنها نقص بشكل ملحوظ

.لم تكتب كلمة لمدة ٤٥ يوماً

الجيران يتهامسون:
"الكتابة مش نافعة دلوقتي... تشوف بنتها الأول

.شعرت بالوحدة كأنها جدار بارد لا ينكسر

.لكن ذات مساء... أثناء ترتيب خزانة كريم... وجدت شيئاً

:رسالة صغيرة كان قد كتبها لها، قديمة، لم ترها من قبل

لو جralي حاجة... أرجوكي كملّي تكتبي."
إنتي كاتبة عظيمة... مش بس عشان تكتبي عني... عشان تكتبي عن نفسك.
وما تسيبي ليلي تفقد أمها كمان

.قضت تلك الليلة تقرأ الرسالة عشرات المرات

ثم — لأول مرة منذ شهر ونصف —
فتحت دفترها... وكتبت

أنا لسه هنا."
متكسرة... بس هنا.
"هكتب... يمكن أكتب وأنا بعيط... بس هكتب

.منذ تلك الليلة... لم تعد ندى "تنتظر أن تتحسن" كي تكتب

• كتبت وهي موجهة

• كتبت عن الموت، عن الفقد، عن الوحدة، عن ليلتي، عن أم صغيرة تحاول النجاة

• نشرت أول مقال بعنوان:
"عن أم تكتب كي لا تغرق"

عن أم تكتب كي لا تغرق

(بقلم: ندى عبد الحميد)

أنا لا أعرف كيف أكتب عن الموت.
كنت أظن أنني سأكتب عنه ذات يوم... حين أكون أكبر، أكثر حكمة، أو حين يبتعد عني كفاية.
لكنه جاء إليّ — دخل بيتي — جلس على سريري — وأخذ كريم

ومند رحيله...
أنا أكتب كي لا أغرق

كنت أظن أن الحب يحصننا.
وكنت أظن أن وجود طفلتنا الصغيرة — ليلي — سيمنحني القوة.
لكنني اكتشفت أن القوة ليست شيئاً نملكه — هي لحظة بلحظة، تنهار وتبني

كل صباح أفتح عيني على غياب كريم.
أنظر إلى الوسادة الفارغة.
أحضن ليلي الصغيرة، كأنني أحضن آخر خيط بيني وبين الحياة
لكن في داخلي... حفرة سوداء

هم يقولون لي: "ركزي في تربية بنتك... الكتابة مش مهمة دلوقت".
لكنهم لا يعرفون.
لو توقفت عن الكتابة... لن أبقى لأربي ليلي

أنا أكتب لأن بين السطور أجد ظل يد كريم... كأنه يقول لي:
كُلي... أنا معاك هنا... في كل كلمة

أحياناً أحجل من نفسي

• حين تبكي ليلي وأنا أكتب

• حين أجد نفسي أكتب عن الغياب بدلاً من ترتيب البيت

• حين أشعر أنني أم منقوصة

لكنني أتذكر...
أن أماً تكتب كي تنجو... تظلُّ أماً تحبّ — تحبّ ابنتها... وتحبّ نفسها

أنا لا أعرف كيف ستكون الأيام القادمة.
...أعرف فقط أنني سأكتب

لأجل ليلي.
لأجل كريم.
لأجل ندى التي... لو سكتت... ستغرق

حتى لو لم يفهمني أحد

أنا أكتب... كي لا أغرق

ندى عبد الحميد
أرملة... أم... كاتبة...
وأُمُّ صغيرة تحاول النجاة، بالكلمات

لاقي المقال صدقاً واسعاً.
نساء أكثر كتبن لها

"إنّني كتبتني اللّلي إحنّا بنحسه ومش بنعرف نقوله"

ندى عرفت

• الكتابة ليست رفاهية

• ليست مجدّاً أدبياً

• إنّها طوق نجاة — إن لم تكتب... تغرق

أنا مش قوية.
أنا ضعيفة جداً... لكنني عابشة

بكتب دلوقتي عشان لو سكت... هضيع.
بكتب وأنا بيني وبين الحياة خيط رفيع

كريم راح.
بس كلمته باقية: كمّلي

وهكّمل.
عشان ليلى.
و عشان ندى

الكتابة تنقذنى

مرت السنوات ببطء... لكنها مرّت.
ليلى صارت في عامها الرابع.
ندى؟ صارت امرأة تمشي يومها بين التعب والأمل.

كانت تستيقظ كل صباح على صوت ليلى:
"ماما!... قومي! الشمس صحيت!"
فتبتسم، تحتضن الصغيرة، تقلبها:
"الشمس ما بتصحاش غير لما أنتي تصحي."

ثم تبدأ اليوم:

- تجهيز الإفطار: خبز محمص، جبن، حليب.
- توضيب الحقيبة الصغيرة.
- توديع ليلى عند حضانة الحي.

ثم... تعود إلى البيت، تسند ظهرها إلى باب المطبخ، تنهار لدقائق.
"أنا مرهقة... بس قدامي شغل كثير."

أنا بكتب في الوقت المسروق... كأن كل كلمة لازم أسرقها من بين بكاء ليلى، تعب الغسيل، وصمت الليل.

نُشر لها أول كتاب:

"عن قلب يمشي على الأرض" — مجموعة نصوص عن الفقد، الأمومة، الحب، الوحدة.

لم يكن نجاحًا باهرًا...
لكنها تلقت أول دعوة إلى ندوة أدبية صغيرة.

ذهبت إلى الندوة...
قلبيها يرتجف.

- تركت ليلى عند الجارة العجوز. وقلبيها طوال الوقت عند الصغيرة.
- دخلت القاعة — شعرها مربوط على عجل، وجهها شاحب من السهر.

في الندوة:

- بعض الكُتاب نظروا إليها كأنها دخيلة: "أرملة شابة... أم... كاتبة؟"
- بعضهم استصغر كتابها.

- لكن واحدة من القارئات قالت لها بعد الجلسة:
"أنا قرّيت كتابك... بكيّت. إنتي كتبتني اللي إحنا بنحس."

حين عادت إلى البيت، ضمت ليلي بقوة.
"أنا هكتب... مش عشان النقاد... عشان الناس اللي محتاجين الكلام."

حياتها اليومية كانت حافلة بالمعاناة الصغيرة:

- تقف في السوبرماركت تعد النقود قبل أن تشتري الحليب.
- تكتب مقالاً وفي قلبها قلق: هل ليلي مريضة؟ هل ستكفي النقود هذا الشهر؟
- تقف في طابور الحضانة منهكة... لكنها تبتسم لصغارها.

مرة كتبت:

"أنا مش ست عظيمة. أنا ست تعبانة... بتحاول.
أنا بكتب مش عشان أبقى عظيمة... عشان أبقى سليمة."

في البيت... كانت تعاني من الوحدة.
أحياناً تنام ليلي مبكراً... فتبكي ندى دون صوت.
كانت تتذكر كريم، شبحه في البيت.

كانت تشغل أغاني قديمة، تجلس تكتب:

"أنا بغني عشان مافضلش سامعة صوت الوحدة."

المجتمع؟ لم يرحمها دائماً: حتى بعض قريباتها قلن لها:
"شوفي أمل... بترعى بيته وبتشتغل وبتعمل دُخْل كويس... إنتي ليه تعيشي في الكتب؟"

لكن أمل نفسها بدأت تتغير.
في زيارة ذات مساء، جاءت أمل، رأّت دفتر ندى على الطاولة، نظرت إليها طويلاً وقالت:
"أنا فهمتك دلوقتي... إنتي لو ما كتبتيش... هتموتي جواكي."

دمعت عينا ندى.

"أخيراً... أختي فهمتني."

وفي كل تلك الفوضى...

ندى كانت تكتب:

- مقالات عن الوحدة.
- نصوص عن ليلي — "كيف تربّي أما نفسها مكسورة."
- قصص قصيرة... حتى لو لم تُنشر كلها.

كانت تقول:

أنا دلوقتي أم... وامرأة بتتعب كل يوم.

فيه أيام أحس إنني مش كفاية... لا أم كفاية... ولا كاتبة كفاية.
وفيه أيام أبقى فخورة بكل حرف بكتبه... حتى لو كتبت وأنا بغسل المواعين.

مش هبطل ، مش عشان أثبت إنني قوية.
عشان أثبت إنني لسه موجودة.

وفي ليالٍ كثيرة... كانت تنظر إلى ليلي النائمة وتهمس:
"أنا هكمل... عشانك... وعشاني."

كيف تربي أما نفسها مكسورة

لا أحد يعلمنا كيف نكون أمهات...
فكيف نكون أمهات ونحن مكسورات؟

أنا أكتب هذا وأنا في الغرفة الصغيرة، ليلي نائمة في سريرها، وأشعر أنني شبخ بين الكتب والملابس الصغيرة

كثيرون يظنون أنني قوية.
يرونتي أمشي في الشارع — أدفع عربة صغيرة بطفلي، أبتسم للناس.
لكنهم لا يرونني حين أغلق الباب.
حين أجلس على أرض المطبخ وأبكي... لأتني تعبت.
لأنني أفتقد كريم.
لأنني أخاف

كيف تربي أما نفسها مكسورة؟
تعلمت ببطء

تعلمت أن أقول لنفسي

• من الطبيعي أن أبكي

• من الطبيعي أن أفتقده

• من الطبيعي أن أشعر أحياناً أنني لا أستطيع الاستمرار

لكنني أيضاً تعلمت

• أن أضم طفلي... حتى لو حضني مكسور

• أن أطبخ لها... حتى لو طبخت وأنا أرتجف

• أن أضحك لها... حتى لو قلبي يبكي

ليس كذباً.

ليس خداعاً.

بل محاولة شريفة... أن أكون ما تحتاجه

حين أستيقظ في الفجر، أجد ليلي تبيكي.
أحملها... وأهمس

"ماما بتحاول.. مش دايماً قوية.. لكن بتحاول.. عشانك"

وحين تنام... أجلس وأكتب:
"أنا مكسورة.. لكني لن أسمح للكسور أن تأخذني بعيداً عنها"

أفسى اللحظات؟
حين تنظر لي ليلي بعينين واسعتين...
وتقول بكلماتها الأولى: "بابا؟"
فأرتجف.
كيف أشرح لطفلة أن بعض القلوب ترحل؟
كيف أشرح لها أن أمها نفسها لا تفهم الغياب تماماً؟

في تلك اللحظات، أكتفي بأن أحضنها بقوة...
وأقول:
"فيه قلوب ما بتموتش... بابا جنبنا... وإنتي جوّه قلبي.. وأنا جنبك دايماً"

كيف تربي أما نفسها مكسورة؟
لا توجد وصفة.
لا توجد إجابة واحدة

لكنني تعلّمت أن

أستمد القوة من لحظة حزن

أغفر لنفسى لحظات الضعف

أسمح ليلي أن ترى دموعي... كي تعرف أن الأمومة ليست فنّاً دائماً

أنا لست الأم المثالية.
أنا أم مكسورة...
لكنني أقف كل يوم... لأحملها... وأكتب... وأحب

وإلى كل أم مكسورة تقرأني:
ليس علينا أن نكون كاملات... يكفي أن نكون حقيقيات

ربما في هذا... يكبر أولادنا أقوى... وأحنّ... وأصدق

ندى عبد الحميد
أم تحاول... وكاتبة لا تزال تمسك القلم... حتى في اليد المرتعشة

طقوس المساء

وهكذا مر العمر

ندى الآن قد بلغت منتصف الستينات من عمرها. البيت الآن صغير... في حي هادئ من أحياء المعادي. شقة بسيطة — غرفة نوم، صالة بها أريكة قديمة، مكتبة صغيرة، شرفة تطل على حديقة صغيرة مشتركة.

عاشت وحدها منذ سنوات. ليلي تزوجت — صارت أماً لطفلة جميلة اسمها ريم. تزورها كثيرًا، لكنها تعيش حياتها. ندى؟ بقيت ندى. لكن بشكل آخر.

نهارها له طقوس محددة:

- تستيقظ عند السابعة.
- تصنع كوب شاي أخضر، تشربه على البلكونة.
- تمشي نصف ساعة في الشارع الجانبي — تسميها "نزهة للروح".
- تعود — تفتح دفترها، تكتب صفحة واحدة على الأقل.
- تقرأ قليلاً.
- بعد الظهر، تتحدث مع ليلي — مكالمة يومية لا تُقطع.
- في المساء — شاي بالنعناع، موسيقى هادئة، دفترها.

ليلى تقلق عليها أحياناً:
"ماما... ليه مش بتخرجي أكثر؟"
فتضحك ندى:
"أنا باخرج... بس مش كل خروجة لازم يبقى فيها ناس. أوقات الخروج مع نفسي أحلى."

مع مرور الوقت، صارت علاقتها بالكتابة أعمق، أبسط، أصدق.

مرة كتبت في دفترها:

"زمان كنت بكتب عشان أثبت إنني كاتبة.
دلوقتي بكتب عشان أثبت إنني عايشة."

لم تعد تهتم بالنشر كثيرًا.
تكتب نصومًا قصيرة — تسميها "حكم من بقايا الطريق".

منها:

بعض الأحزان لا تُشفى... لكنها تُربّي
نعلمها أن تجلس بهدوء على طرف القلب... وتترك لنا مكاناً للحياة

الوحدة الحقيقية... ليست حين لا تجد من يحبك.
بل حين لا تجد من يفهمك

لا تفعل شيئاً كي تُعجب أحداً.
افعله كي لا تخون قلبك

أعمق حبّ.. هو الذي يسمح لك أن تكون كما أنت دائماً

الوجع لا يُقاس بكثرة المع
أحياناً أخفُّ اللمعات... تُخبّي أثقل الأوجاع

أقوى الناس.. ليس من لا يبكي
بل من يبكي... ويقوم في الصباح ليحمل الحياة مرة أخرى

الحبر هو دم القلب حين لا يجد صوتاً

ليس كل صمت ضعفاً
أحياناً الصمت هو الطريق الوحيد كي لا ننهار أمام من لا يفهم

• "التاريخ علمنا إن كل شيء يمضي... حتى الألم... خذ وقتك... ففهم الحكاية أهم من حفظها

في آخر العمر... نكتشف أن أعلى ما نملكه:
ذكرى عناق صادق،
كلمة قالتها أم ذات يوم،
ضحكة صغيرة مع من رحل...
"وسطر كتبناه كي لا ننسى"

في حياتها الصغيرة، كانت هناك قصص صغيرة جداً — لكنها حقيقية:

• في البقالة أسفل البيت، الطفل الصغير يقول لها:
"تتّه ندى! إنتي شبيه جدّتي!"
فتبتسم وتقول:
"وأنا بحبك و بحب جدّتك من غير ما أعرفها."

• في يوم ماطر، تعطلت الكهرباء. جلست على الأرض وسط الشموع، كتبت:
"الليل لما ينطفئ.. القلم ينور أكثر."

• مرة وجدت عصفورًا صغيرًا مصابًا في البلكونة.
اعتنت به لأسبوع كامل.
في النهاية طار... وكتبت:
"كلنا محتاجين حد يشيلنا شوية.. عشان نرجع نظير."

أقرب شخص لها الآن كانت ريم الصغيرة — حفيدتها.

ريم كانت تزورها كل أسبوع.
في كل زيارة، كانت تطلب من جدتها:
"تيتا ندى... احكي لي قصة من عندك مش من الكتاب!"

فتجلس ندى، تضم الصغيرة في حضنها، وتقول:
"طيب... فيه بنت كان عندها دفتر سحري... لو كتبت فيه، كل الدنيا تتلون."
وتبدأ الحكاية.

في لحظات الوحدة، لم تعد تبكي كما كانت.
تجلس أحيانًا أمام دفتريها... وتتنظر إلى صورة كريم، إلى صور ليلي وريم.
تقول في نفسها:

"أنا عشت.
كويس؟ وحش؟ مش مهم.
عشت... وكتبت... وحببت... واتوجعت... وهكملت أكتب... لآخر نفس."

أنا دلوقتي ست عجوزة شوية... وكاتبة شوية... وأم و جدة وحيدة شوية... وسعيدة شوية.

اتعلمت إن مفيش سعادة كاملة... ولا وجع كامل.
فيه لحظات صغيرة... لما نحافظ عليها... تبقى كنوز.

أنا هكتب لحد آخر يوم.
مش عشان أبقى عظيمة.
عشان لما يبجي اليوم اللي أروح فيه... ألاقى إني عشت... بحروفي... وبقلبي.

وهكذا...

• المساء صار وقتها المقدس.

• تكتب فيه... تتأمل... تعيش فيه اللحظات البسيطة بامتنان.

وفي شقتها الصغيرة... قرب النافذة... بين دفتري، وكوب شاي، وصوت ريم يضحك من بعيد...
كانت ندى تقول لنفسها كل مساء:

"أنا هنا.

لسة بحاول... رغم كل حاجة."

الحروف الأخيرة

كانت ندى تعرف.

لم يقل لها الطبيب شيئاً قاطعاً، لكن جسدها كان يتحدث.
التعب في العظام، ضيق النفس، ذلك الوهن الذي لا تخطئه الروح.

لم تكن خائفة من الموت — بل من أن ترحل قبل أن تقول كل ما في قلبها.
ليس للعالم...
بل لليلى وريم

في صباحات الأيام الأخيرة، كانت طقوسها أصغر... وأعمق.

- تستيقظ ببطء.
- تقرأ مقطعاً صغيراً من "أوراق العمر" — كتابها المفضل.
- تشرب شايتها الأخضر... ببطء.
- تمسك دفترها... تكتب جملة واحدة فقط، كل صباح:

"أنا هنا... لسه يحاول.. رغم كل حاجة."

في النهار، كانت تجلس قرب النافذة.
تراقب العصافير الصغيرة في الحديقة.
تدير الراديو على إذاعة القرآن الكريم — ليس تدينياً صارماً، بل بحثاً عن يقين يملأ القلب بالراحة و الطمانينة

الليل؟ كان وقتها الخاص.

- تشعل شمعة صغيرة.
- تضع صور كريم، ليلى، ريم أمامها.
- تمسك قلمها... وتكتب.
لم تعد تكتب "نصوصاً" — بل حروف حياة.

ذات مساء، جلست إلى الطاولة، وبدأت كتابة الرسالة التي كانت تؤجلها منذ شهور:

"إلى ليلى... يا حبيبي الكبير، يا بنت قلبي..."

"أنا دلوقتي ست تعبانة كثير... ست عاشت كثير... وحبّت كثير... وكتبت كثير... واتوجّعت كثير.
بس أهم حاجة.. عشت.
وده اللي نفسي أقولك عليه.

"هتقابلي في حياتك وجع.. كثير.
خلي الوجع يعدي.. وما يعديش جواكي.
اكتبي. حتى لو كلمة كل يوم.

"مش لازم تبقى قوية دائماً.
ابكي.. خافي.. ارتعشي.. بس قومي تاني.

"ولما تحبي.. جبّي اللي يحبك وانت بتتكسري.. وانت بتضحكي.. مش وانت بتتصنّعي.

... واحكي لبنتك عن جدتها ندى.
مش عشان كنت عظيمة.. عشان كنت حقيقية.

ولو في يوم حسيتي نفسك تايهة.. روعي اشربي شاي في البلكونة.. ويصي للسماء...
هتلاقيني هنالك.. بضحك معاكي.

وأوعي تنسي تكتبي.
الكتابة مش شهرة.. مش مجد.
الكتابة نجاة.

"وأنا دلوقتي.. بحبك قوي.
ولو ما لحقتش أقولك كفاية.. اعرفي إن كل يوم عشت فيه.. كان عشانك.

ماما

وضعت القلم.

بكت... بكت طويلاً... لكن بدمع هادئ.

في الأيام التالية، عاشت طقوسها الصغيرة:

• رتبت صورها — تركت صورة كريم في الدرج... وصورة ليلي وريم على الطاولة.

• جهّزت دفترها — كتبت على غلافه:

لو فتحتوا الدفتر ده... افتحوه بحب... مش بحزن

في آخر مساء، جلست مع ريم الصغيرة.

قالت لها:

"تيتا هتمشي بعيد شوية... حتبقي تقريلي حكاية كل لما اوحشك؟"

هرّت الصغيرة رأسها بحماس:

"أيوّة!"

ضحكت ندى — قبّلت جبينها — وقالت:

"خلي بالك من ماما... وخلي بالك من قلبك."

في الليل...
كتبت آخر جملة في دفترها:

"أنا تعبت... وأنا همشي.. بس هسيب كلماتي هنا... تعيش بدالي."

ثم أغلقت الكراسة...
وابتسمت.

بين السطور

الخبر جاء بهدوء.

ليلى كانت تعرف في قلبها أن هذا اليوم سيأتي — لكن معرفتنا لا تُتقدنا من الألم.

في صباحٍ باردٍ من شتاء فبراير، ندى... راحت في هدوء... وهي نائمة

في جنازة بسيطة، وقفت ليلى بين الزحام.
لم تبكِ في العلن — لكن عيناها كانتا تقولان كل شيء.

جلست ليلى في الصلاة... احتضنت ريم.
ريم، التي فهمت بطريقتها الصغيرة:
"تيتا راحت في السما؟"
هزّت ليلى رأسها، ودموعها تنهمر:
"آه يا حبيبتي... بس سابيت لنا حكاياتها."

ثم احتضنت دفتر ندي — فتحتة.

قرأت الرسالة الأخيرة... بكّت... ضحكت... عانقت الورق.

قالت لريم:
"تعرفي يا ريم؟"
تيتا علمتنا إن الكلام اللي بيطلع من القلب... ما بييموتش.
تعالى... نقرأ شوية حكاياتها."

وجلسنا معاً — الجدة التي رحلت... والابنة... والحفيدة... بين السطور.

وفي مساء هادئ، بعد شهور...
كانت ريم تجلس على الأرض، تمسك دفترًا جديدًا.

ليلى سألتها:
بنكتبي إيه؟
قالت الصغيرة، تبسّم:
عايزة أكتب... عشان تيتا ندى كانت بنكتب... وأنا عايزة أبقى زيها.

ليلى ابتسمت — دموعها لم تعد حزينة... صارت دافئة.

وهكذا...

لم تُدفن ندى كاملة في التراب.

• بقيت في السطور.

• بقيت في الحكايات.

• بقيت في حفيذة تمسك قلمًا ... تكتب أول حكاية صغيرة:

"فيه ستّ كانت بتحب تكتب... علمت بنتها، وحفيدتها... يكتبوا... عشان يفضلوا عايشين."

وفي الشقة القديمة، بقيت النافذة مفتوحة.
كل مساء، كانت نسمة خفيفة تحرك الأوراق على الطاولة.
كأنها تقول:
"أنا هنا..."
لسه بحب... رغم كل حاجة."

و في النهاية

هذه ليست حكاية عن الكتابة.
وليست عن الحزن.
ولا حتى عن امرأة اسمها ندى.
هي عن شيء نحتاجه جميعًا

ذلك الخيط الذي نشده بين أصابعنا... حين تتفتت فينا القوة

ذلك الحبل الخفي... الذي يُعيد لقلوبنا نبضها حين نظنها أوشكت أن تصمت

بالنسبة لندی، كان الحبر.
كانت الكلمات.
كانت الصفحات التي تكتبها في ليالٍ من الوحدة والخوف.
لكن ليس على كل واحد منا أن يكتب

ليست كل الأرواح تكتب.
ولا كل القلوب تبحث عن الكلمات.
...لكن كل إنسان، في عمق وحدته، يحتاج إلى شيء

أنت... لست مضطرًا أن تكتب

قد تجد طريقك في زهرة تزرعها... في مشية طويلة في مساء خريفي... في أغنية تحفظها لنفسك... في كوب شاي تشربه ببطء شديد... في حكاية تهمس بها إلى طفل ينام

المهم أن تعثر على ذاك الخيط الخفي الذي يقول لك كل صباح:
".امض... خطوة واحدة أخرى... مهما كان التعب"

هذه الحكاية ليست عن ندى وحدها.
هي عن كل الذين تعلموا أن يُربوا قلوبهم وهم مكسورون.
حين تغلق هذا الكتاب...
أتمنى أن تكون وجدت في كلمات ندى...
رغبة صغيرة أن تمسك بيدك شيئًا أنت وحدك تعرف قيمته.

كلنا نُربِّي أنفسنا ونحن مكسورون.
كلنا نحمل قلوباً تمشي على الأرض وهي تبحث عن مأوى

ابحث عن طريقك.
تمسك بها.
وأكمل

الحياة لا تُعطينا معجزة.
لكنها تهمس لنا دائماً:
".ابحث عن الشيء الذي يجعلك تمشي... وامسك به... وامض

استمر... حتى لو خطوة صغيرة... حتى لو بجملة واحدة في يوم ثقيل



